تُحفةُ المُجاهِدِينَ

(الجِهادَ الأكْبَر)

للشَّيْخِ الإِمَامِ

عَيْنِ القُضَاةِ أَبِي المَعَالِي الهَمذَانِي

(ت٥٢٥هـ)

بعناية

نزار حمّادي

دار الإمام ابن عرفة

تونس

تُحفَةُ المُجَاهِدِينَ

الكتاب: تُحْفَةُ المُجَاهِدِين

تأليف: عين القضاةِ أبي المعالي الهمذاني (ت٥٢٥هـ)

بعناية: نزار حمادي

الناشر: دارُ الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

تُحْفَةُ المُجَاهِدِينَ

(الجِهَادَ الأَكْبَرَ)

للشَّيْخِ الإِمَامِ

عَيْنِ القُضَاةِ أَبِي المَعَالِي الهَمَذَانِي

(ت٥٢٥هـ)

بعناية

نزار حمادي

دار الإمام ابن عرَفة

٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ العَالِمُ العَامِلُ الزَّاهِدُ الوَرِعُ التَّقِيُّ أَبُو المَعَالِي الهَمَذَانِيُّ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ وَبَرَّدَ ضَرِيحَهُ

اعْلَمُوا إِخْوَانِي وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ مَثَلَ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ المَدِينَةِ، وَرُوحُهُ وَجَوَارِحُهُ كَالحِصْنِ لِتِلْكَ المَدِينَةِ، وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ **كَالمَلِكِ** فِي قَصْرِهِ، وَلِلْمَلِكِ سَرِيرٌ وَهُوَ **التَّوْحِيدُ**، وَلَهُ تَاجٌ وَهُوَ **المَحَبَّةُ**، وَلَهُ وَزِيرٌ وَهُوَ **العَقْلُ**، وَلَهُ حَاجِبٌ وَهُوَ **العِلْمُ**، وَلَهُ صَاحِبُ سِرٍّ وَهُوَ **الذِّكْرُ**، وَلَهُ نَدِيمٌ وَهُوَ **الزُّهْدُ**، وَلَهُ عَلَمٌ وَهُوَ **الأُنْسُ**، وَلَهُ سِرَاجٌ وَهُوَ **الحِلْمُ**، وَلَهُ بَوَّابٌ وَهُوَ

المُرَاقَبَةُ، وَلَهُ صَاحِبُ بَرِيدٍ وَهُوَ **الفِرَاسَةُ**، وَلَهُ صَاحِبُ سَيْفٍ وَهُوَ **الحَقُّ**، وَلَهُ مُنَادٍ وَهُوَ **الإِقْرَارُ**، وَلَهُ جُنُودٌ يَنْصَحُونَهُ، وَلَهُ مُعَاشِرُونَ لَا يُخَالِفُونَهُ.

فَبَيْنَمَا المَلِكُ مُتَفَكِّرٌ[١] فِي قَصْرِهِ، ثَابِتٌ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، إِذْ أَقْبَلَ بَعْضُ جَمَاعَتِهِ المُشْفِقِينَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا المَلِكُ الكَرِيم، إِنَّ الشَّيْطَانَ الرَّجِيم، قَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْكَ فِي جَيْشٍ عَظِيم، فَاحْتَرِزْ عَلَى مَدِينَتِك، وَاسْتَعِدَّ عَلَى مَمْلَكَتِك، فَإِنَّهُ عَدُوٌّ وَاصِل، وَعَنْ

(١) خ: فَبَيْنَمَا المَلِكُ جَالِسٌ.

قَصْرِكَ[1] غَيْرُ نَاكِلٍ[2]، وَعَلَى مَدِينَتِكَ لَا شَكَّ نَازِل.

فَلَمَّا رَأَى المَلِكُ ذَلِك، وَأَبْصَرَ مَا هُنَالِك، نَادَى فِي جَمَاعَتِه، وَأَهْلِ النُّصْح مِنْ خَاصَّتِه، وَأَعَادَ عَلَيْهِمُ الخِطَاب، وَطَلَبَ مِنْهُمُ الرَّأْيَ وَالجَوَاب، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الوَزِير، وَهُوَ العَقْلُ الخَطِير، فَقَالَ لَهُ: بِمَاذَا تُشِير؟ فَقَالَ لَهُ الوَزِير، أَيُّهَا المَلِكُ الكَبِير، نَحْفِرُ حَوْلَ مَدِينَتِنَا خَنْدَقًا

---

(١) خ: قَصْدِكَ.

(٢) أي: غيْرُ نَاكِصٍ ولا زَائِل.

مِنَ الزُّهْد، فَإِنَّهُ لِجَيْشِ[1] عَدُوِّنَا يَصُدّ، وَلِكَيْدِهِ يَرُدّ.

فَشَرَعُوا فِي حَفْرِ الخَنْدَق بِمَعَاوِلِ القَلَق، وَأَجْرَوْا فِي مَجَارِيهِ دُمُوعَ الأَرَق، فَلَمَّا أَحَاطَ بِالمَدِينَةِ الخَنْدَق، أَنْشَأَ المَلِكَ وَجَعَلَ يَقُول:

وَلَمَّا أَحَاطَتْ فِي جُنُودِي وَسَاوِسُ
حَفَرْتُ بِزُهْدِي حَوْلَ قَلْبِي خَنْدَقَا
حَفَرْنَاهُ فِي أَرْضِ التَّوَدُّدِ وَالصَّفَا[2]
وَأَرْسَلْتُ دَمْعَ العَيْنِ فِيهِ دَفْقَا[3]

(١) خ: لِبأْسِ.
(٢) خ: وَالنَّقَا.
(٣) أي: صَبًّا

وَأَصْفَيْتُ سِرِّي وَاعْتَصَمْتُ بِخَالِقِي

وَأَصْبَحْتُ مِنْ أَسْرِ المَهَالِكِ مُطْلَقَا

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ كَذِلَك، إِذْ عَلَا غُبَارُ البَاطِلِ، وَأَقْبَلَ العَدُوُّ بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِل.

فَنَزَلَ «**الهَوَى**» عَنْ يَمِينِ المَدِينَة فَضَرَبَ خِيَامَه، وَنَشَرَ أَعْلَامَه، وَكَانَتْ جُنُودُهُ عَشَرَة: الحَسَدُ[١]، وَالتَّجَبُّرُ[٢]، وَالعُجْبُ[٣]، وَالتَّكَبُّرُ[٤]، وَالغِلُّ[٥]، وَالمَكْرُ[٦]، وَالحِقْدُ[٧]، وَالغَدْرُ[٨]، وَالوَسْوَسَةُ فِي السِّر[٩]، وَالمُخَالَفَةُ فِي الأَمْر[١٠].

وَنَزَلَتِ «**النَّفْسُ**» عَنْ شِمَالِ المَدِينَة، فَضَرَبَتْ خِيَامَهَا، وَنَشَرَتْ أَعْلَامَهَا، وَكَانَتْ جُنُودُهَا عَشَرَةً:

الحِرْصُ[١]، وَالشَّهْوَةُ[٢]، وَالشُّحُّ[٣]، وَالرَّغْبَةُ[٤]، وَالزَّيْغُ[٥]، وَالقَسْوَةُ[٦]، وَالبُخْلُ[٧]، وَالأَمَلُ[٨]، وَالطَّمَعُ[٩]، وَالكَسَلُ[١٠].

وَنَزَلَتِ **«الدُّنْيَا»** أَمَامَ المَدِينَة، وَكَانَتْ جُنُودُهَا عَشَرَةً: الرِّيَاءُ[١]، وَالتَّفَاخُرُ[٢]، وَالبَطَرُ[٣]، وَالتَّنَافُسُ[٤]، وَاللَّهوُ[٥]، وَاللَّعِبُ[٦]، وَالزُّورُ[٧]، وَالغِشُّ[٨]، وَالخَدِيعَةُ[٩]، وَالتَّفْرِيطُ فِي حِفْظِ الشَّرِيعَةِ[١٠].

وَنَزَلَ **«إِبْلِيسُ»** اللَّعِينُ خَلْفَ المَدِينَة، فَضَرَبَ خِيَامَه، وَنَشَرَ أَعْلَامَه، وَكَانَتْ جُنُودُهُ عَشَرَةً: الظُّلْمُ[١]، وَالخِيَانَةُ[٢]، وَالكُفْرُ[٣]، وَتَرْكُ الأَمَانَة[٤]، وَالبُغْضُ[٥]، وَالنِّفَاقُ[٦]، وَالشَّكُّ فِي قُدْرَةِ الوَاحِدِ الخَلَّاقِ[٧]، وَالمُخَالَفَةُ لِمَا أَمَرَ

بِهِ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَام[٨]، وَإِتْيَانُ مَا نَهَى عَنْهُ ذُو العِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ[٩]، وَالتَّغْفِيلُ عَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[١٠].

قَالَ: فَهَالَ المَلِكُ مَا أَبْصَر، وَجَزَعَ مِنْ ذَلِكَ وَتَحَيَّر، وَمَيَّزَ فِي أُمُورِهِ وَتَفَكَّر، وَحَاوَلَ وَنَظَر، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ مَا سُلِّطُوا
إِلَّا لِطُولِ شَقَاوَتِي وَعَيَائِي
إِبْلِيسُ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهَوَى
كَيْفَ الخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
إِبْلِيسُ يَسْلُكُ فِي طَرِيقِ مَهَالِكِي
وَالنَّفْسُ تَأْمُرُنِي بِكُلِّ بَلَائِي

وَالهَوْى تَدْعُو إِلَيْهِ خَوَاطِرِي

فِي ظُلْمَةِ الشُّبُهَاتِ وَالآرائِي

وَزَخَارِفُ الدُّنْيَا تَقُولُ أَمَا تَرَى

حُسْنِي وَفَخْرَ مَلَابِسِي وَبَهَائِي

وَجُنُودُهُمْ حَطُّوا بِسُورِ مَدِينَتِي

يَا عُدَّتِي فِي شِدَّتِي وَرَخَائِي

قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ وَزِيرُهُ وَهُوَ العَقْلُ جَزَعَ وَتَحَيَّر، وَقَدْ هَابَ مِنْ ذَلِكَ وَتَفَكَّر، أَنْشَأَ يَقُولُ:

لَا تَجْزَعَنْ لِمَا أَبْصَرْتَ حَلَّ بِنَا

فَحَوْلَ بَلْدَتِنَا الأَمْلَاكُ تَحْرُسُنَا

وَنَحْنُ فِي حِفْظِهِمْ مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ

فَنَشْكُرُ اللَّهَ[1] إِذْ لِلْخَيْرِ وَفَّقَنَا

فَمُذْ عَرَفْنَاهُ أَصْفَيْنَا مَوَدَّتَهُ

لَكِنْ يُنْكِرُنَا مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُنَا

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ المَلِكَ نَادَى: يَا غِيَاثَ المُسْتَغِيثِين، وَيَا دَلِيلَ المُتَحَيِّرِين، فَثَبَّتَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَجَنَانَه، وَقَوَّى ظَهْرَهُ وَأَرْكَانَه، وَقَالَ لِلْوَزِيرِ، وَهُوَ العَقْلُ الخَطِير: كُنْ أَنْتَ مُقَابِلَ الهَوَى، وَاطْلُبِ النَّصْرَ مِنَ العَزِيزِ المَوْلَى، وَالآنَ قَدْ سَلَّمْتُ يَمِينَ مَدِينَتِي إِلَيْك، وَاعْتَمَدْتُ فِي حِفْظِهَا عَلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَيْكَ.

---

(١) خ: فَاشْكُرْ لِموْلَاكَ.

ثُمَّ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ عَشَرَةً لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُقَابِلَ الآخَرِين وَهُم: الإِخْلَاصُ[١]، وَالخُشُوعُ[٢]، وَاليَقِينُ[٣]، وَالخُضُوعُ[٤]، وَالمَعْرِفَةُ[٥]، وَالهِدَايَةُ[٦]، وَالوَرَعُ[٧]، وَالتُّقَى[٨]، وَالتَّسْلِيمُ[٩]، وَالرِّضَا[١٠].

ثُمَّ سَلَّمَ الجَانِبَ الثَّانِيَ إِلَى حَاجِبِهِ وَهُوَ **العِلْمُ**، وَقَالَ لَهُ: كُنْ أَنْتَ مُقَابِلَ **النَّفْسِ**، ثُمَّ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ عَشَرَةً: وَهُمْ: التَّيَقُّظُ[١]، وَالحِكْمَةُ[٢]، وَغَضُّ الطَّرْفِ[٣]، وَالقَنَاعَةُ[٤]، وَالشُّكْرُ[٥]، وَالإِجَابَةُ[٦]، وَالتَّعَفُّفُ[٧]، وَالصَّبْرُ[٨]، وَالنَّصِيحَةُ[٩]، وَاجْتِنَابُ كُلِّ فِعْلٍ قَبِيحٍ[١٠].

ثُمَّ سَلَّمَ الجَانِبَ الثَّالِثَ إِلَى صَاحِبِ سِرِّهِ وَهُوَ **الذِّكْرُ**، وَقَالَ لَهُ: كُنْ أَنْتَ مُقَابِلَ **إِبْلِيسَ**، ثُمَّ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ عَشَرَةً وَهُمْ: الحَيَاءُ[١]، وَالمَحَبَّةُ[٢]، وَالإِيثَارُ[٣]، وَحُسْنُ الصُّحْبَةِ[٤]، وَالتَّوَكُّلُ[٥]، وَتَرْكُ الجَفَاءِ[٦]، وَالتَّوَاضُعُ[٧]، وَالوَفَاءُ[٨]، وَالإِنَابَةُ[٩]، وَالجُودُ[١٠].

ثُمَّ سَلَّمَ الجَانِبَ الرَّابِعَ إِلَى نَدِيمِهِ وَهُوَ **الزُّهْدُ**، وَقَالَ لَهُ: كُنْ أَنْتَ مُقَابِلَ **الدُّنْيَا**، وَضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ عَشَرَةً وَهُمْ: طَلَبُ الحَلَالِ[١]، وَاجْتِنَابُ الحَرَامِ[٢]، وَالافْتِقَارُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى[٣]، وَتَرْكُ الاغْتِرَارِ[٤]، وَالثِّقَةُ بِاللَّهِ ﷻ[٥]، وَتَرْكُ الزَّنْدَقَة[٦]، وَالنَّدَمُ[٧]، وَالاسْتِغْفَارُ[٨]، وَالتَّهَجُّدُ

فِي وَقْتِ الأَسْحَارِ[٩]، وَالبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ الوَاحِدِ القَهَّارِ[١٠].

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي مَنْ رَأَيْتُهُ مِنْكُمْ قَصَّرَ فِي الخِدْمَة، فَمَا لَهُ جَزاءٌ عِنْدِي إِلَّا صَاحِبُ سَيْفِ النِّقْمَة.

ثُمَّ حَفِظَ المَلِكُ بَابَ المَدِينَة، وَلَبِسَ ثِيَابَ الجِهَادِ وَخَلَعَ ثِيَابَ الزِّينَة، فَلَمَّا اسْتقَرَّ العَدُوُّ مَوْضِعَه، وَلَمْ يَجِدْ سَبِيلاً إِلَى مَا قَدْ صَنَعَه، نَادَى المَلِكُ فِي جَمَاعَتِهِ بِحَرْبِهِمْ، وَطِعَانِهِمْ وَضَرْبِهِمْ.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ نَصَبَ مِنْجَنِيقَاتِ البَغْيِ وَالطُّغْيَان، فَجَعَلَ المَلِكُ فِي

مُقَابِلِهَا مِنْجنِيقَاتِ التَّوْحِيدِ وَالإِيمَان، فَصَارَ القِتَالُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ يَعْمَل، وَالدَّمُ يَنْزِل.

فَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ بِظَلَامِه، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ بِانْصِرَامِه، فَزِعَ القَوْمُ أَنْ يَهْجُمَ العَدُوُّ فِي الظَّلَام، فَأَشْعَلُوا مَشَاعِلَ الحُرْقَةِ وَالغَرَام، وَقَدَّمُوا عَلَيْهَا قَائِدَ التَّوْبَة، وَصَارَ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ نَوْبَة.

فَلَمَّا بَانَ الصَّبَاح، وَأَظْهَرَ القَوْمُ القِتَالَ بِالسِّلَاح، فَجَعَلَ المَلِكُ يَقُولُ:

قَدْ بَلَغَ الشَّوْقُ مُنْتَهَاهُ
وَحَلَّ بِي مِثْلَ مَا تَرَاهُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِي سِوَاهُ مَوْلًى

فَكَيْف أشْكُو إِلَى سِوَاهُ

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ المَلِكَ قَالَ لِجُنُودِهِ: اخْرُجُوا إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ، فَفَتَحَ القَوْمُ بَابَ المَدِينَة، وَقَدْ لَبِسُوا العُدَّةَ الحَصِينَة، وَبَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى خَصْمِه، وَبَذَلَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِه، وَصَارَ القِتَالُ يَعْمَلُ بَيْنَ الفَرِيقَيْن، وَكَانَ صَاحِبُ المَدِينَةِ يَطْلُبُ النَّصْرَ مِنْ خَالِقِ الثَّقَلَيْن، فَأَلْقَى اللهُ فِي قُلُوبِ الأَعْدَاءِ الخَوْفَ وَالجَزَع، فَانْصَرَفَ عَنْ أَصْحَابِ الحَقِّ البَاطِلُ وَانْدَفَع، فَوَلَّتِ الأَعْدَاءُ هَارِبِين، فَصَارَتْ جُيُوشُ الحَقِّ فِي إِثْرِهِمْ طَالِبِين، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسَرُوهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَرَحُوهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلُوه، وَالْتَجَأَتِ النَّفْسُ إِلَى حِصْنِ الفِئَة، فَحَاصَرُوهَا

وَقَاتَلُوهَا قِتَالًا شَدِيدًا بِالعُدَدِ العَدِيدَة، فَاجْتَمَعَ الأَحْرَارُ مِنْهُمْ وَالعَبِيد، فَتَقَدَّمَ الوَزِيرُ إِلَى النَّفْسِ وَزَجَرَهَا، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَنَا الصَّدِيقُ فِي جَيْشٍ عَرَمْرَم
يُوَافِقُهُ الإِخْلَاصُ فِي كُلِّ مَغْنَمْ
فَأَثْبِتْ مَنْ صَحَّتْ لَهُ نِسْبَةُ الهَوَى
وَأَبْطِلْ أَصْحَابَ الحَدِيثِ المُجَمْجَمْ

قَالَ: فَمَا جَاوَبَتْ بِلِسَان، وَلَا نَطَقَتْ بِبَيَان، وَلَا أَشَارَتْ بِبَنَان، فَدَخَلَتْ تَحْتَ الطَّاعَةِ وَالحُكْم، وَأَيِسَتْ مِنْ كُلِّ بُهْتَانٍ وَظُلْم، وَبَانَ لَهَا الضِّيَاءُ وَالنُّور، وَبَطَلَ عَنْهَا كُلُّ خِدَاعٍ وَزُورٍ.

وَأَنْشَأَتِ النَّفْسُ فِي هَذَا المَعْنَى:

يَا صَاحِبَيَّ قِفَا بِي تَسْمَعِ العَجَبَا

جُنْدُ الإِلَهِ لَمْن عَادَاهُ قَدْ غَلَبَا

حَتَّى إِذا بَانَ ضَوْءُ الصُّبْحِ أَيَّدَهُمْ

رَبُّ العِبَادِ وَكُلُّ خَصْمَهُ غَلَبَا

وَهَبَّتِ الرِّيحُ خَوْفًا فِي مَضَارِبِهِمْ

فَصَيَّرَتْ كُلَّمَا قَدْ حَاوَلُوهُ هَبَا

وَصَارَ إِبْلِيسُ فِي جَهْدٍ يُكَابِدُهُ

يَدْعُو لِمَنْ قَدْ دَعَاهُ الوَيْلَ وَالحَرْبَا

قَالَ الشَّيخ ﵁: هَذَا مَا عَرَّفَنَا اللهُ مِنْ هَذِهِ المَدِينَةِ الَّتِي هِيَ لِلْإِيمَانِ حَصِينَة، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى التَّوْفِيقَ فِي كُلِّ مَنْهَجٍ وَطَرِيق، وَأَنْ يَحْفَظَنَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ والدُّنْيَا وَالهَوَى، وَيَمْلَأَ قُلُوبَنَا بِالإِيمَان، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

دار الإمام ابن عرفة
تونس